أدب الطفل والتغير المناخي:أدب التغير المناخي والتغير البيئي ودوره في رفع وعي الناشئة بقضايا عالمية " الجذور العربية والنشأة الغربية"

إعداد

أ.د. عبير عبدالله العباسي

أستاذ دراسات الأدب العربي الوسيط وأدب الطفل

كلية الآداب . جامعة الملك عبدالعزيز

*تم تمويل هذا المشروع من قبل برنامج التمويل المؤسسي بموجب المنحة رقم. (IFPAS:٦٧-٢٤٦-١٤٤٣) لذلك تتقدم المؤلفة بالشكر والامتنان للدعم الفني والمالي المقدم من وكالة البحث والابتكار بوزارة التعليم وجامعة الملك عبد العزيز – جدة – المملكة العربية السعودية.

أدب الطفل والتغير المناخي: أدب التغير المناخي والتغير البيئي ودوره في رفع وعي الناشئة بقضايا عالمية – الجذور العربية والنشأة الغربية.*

إعـــــداد:أ.د. عبير عبدالله العباسي
أستاذ دراسات الأدب العربي الوسيط وأدب الطفل
كلية الآداب ـ جامعة الملك عبدالعزيز

المستخلص

في الآونة الأخيرة، أصبحت بعض الدول العربية تستضيف مؤتمرات دولية منظمة سنويا، لتوعية العالم بأهمية مواجهة تغيرات المناخ بحلول فعالة. ويقع على عاتق المهتمين بقضايا التغير المناخي (وأسبابه ونتائجه على البيئة) مسؤولية تعريف أطفال اليوم (الذين نعتبرهم جيل الغد) بمثل هذه القضايا لرفع وعيهم؛ بإطلاعهم على العواقب المحتملة والحلول الممكنة. أهمية هذا الأمر يرجع إلى حقيقة كونهم – أي أطفال اليوم – الفئة الأكثر تأثرا، على الأرجح، بما سيواجه العالم من تغييرات في المستقبل بسبب هذه القضايا. لذا، وجدنا أنه من الضروري النظر للمسألة من **منظور ثنائي المحور (تاريخي–مقارن):** محوره **التاريخي** يوضح ابتداءً كيف كان فهم الأسلاف لمسائل متعلقة برفع وعي العامة (بما فيهم قطاع الشباب الصغار) (بطرق مباشرة وغير مباشرة) بموضوعات متعلقة بالنظرة للموارد الطبيعية والمحافظة عليها، باعتبارها أمانة ينبغي صونها للخلف من أجيالهم؛ بينما محوره المقارني فيركز على التأسيس الغربي لأدب تغير المناخ (Cli.Ch–Lit) والأدب البيئي (Eco–Lit) للقرّاء من صغار الشباب بآلية جعلت أدب أطفالهم نموذجًا يحتذى به، فيما يخص أساليب تثقيف الصغار بالمشاكل البيئية التي تمثل أهم القضايا المعاصرة، من خلال آلية جعلت آدابهم المقدمة للناشئة أنموذجا يحتذى في التوعية بمخاطر قضايا مهمة ذات صلة بالاستدامة والحفاظ على كوكبنا الأرضي.

كلمات مفتاحية: أدب الطفل، التغير المناخي، التراث الأدبي العربي، النتاج الأدبي الغربي، أدب التغير المناخي، الأدب البيئي.

Abstract

Recently, certain Arabic countries have been hosting International Climate Conferences on regular basis to educate the world on the importance of confronting climate change with effective solutions. It is the responsibility of those interested in climate change issues, its cause and consequences, on the environment to expose today's children (whom we consider tomorrow's generation) to such issues and raise their awareness by introducing them to the consequences and possible solutions. This is due to the fact that they are likely the most affected social group by the expected consequences of climate change. We are tackling this issue from a two-axis perspective (historical-comparative): the historical axis reviews how old Arabic sources discussed issues related to raising youth's awareness about natural resources and the importance of preserving them for coming generations, in direct and in-direct ways while its comparative axis focuses on the western establishment of climate change literature (cli.ch-lit.) and eco-literature (eco-lit.) for young readers with a mechanism that made their children's literature a role model in raising youngsters' awareness of global issues related to the survival of Planet-Earth.

Keywords: Children's literature, climate change, Arabic literary heritage, western literary products, climate change literature (cli.ch-lit.), eco-literature .

المقدمة:

الفرق الشاسع بين نوعية نتاجات الأعمال المقدمة للأطفال في الوطن العربي مقارنة بما هو مقدَّم لهم في الغرب، تحديدا فيما يخص رفع وعيهم تجاه قضايا هامة (مثل قضية التغير المناخي)، تؤكد على أن هناك خللا واضحا في الاستيعاب الحقيقية لخطورة القضية وفهم عميق لآثارها السلبية على جيل المستقبل، اللاحقة بهم لا محالة، وتشير بدلالة واضحة إلى ضعف الآلية الموظفة عندهم لرفع وتيرة تنبيه الصغار لها. **موضوع الدراسة** يركز على التوعية بأهمية رفع وعي الصغار بهذه الظاهرة البيئية، ويضع تصوُّرا لأسباب ضعف النتاجات الأدبية المقدمة للطفل في عالمنا العربي تجاه هذه القضية وذلك من **محورين أساسيين**: أولهما – **تاريخي**: يسعى إلى البحث عن جذور القضية في أدبنا التراثي القديم ذات الصلة بمسألة رفع وعي الناشئة بقضايا تخص الحفاظ على الثروات الأرضية؛ وثانيهما-**مقارني**: يلقي الضوء على الآلية المتعبة في نتاجات أدب الطفل الغربي المعاصر التي جعلته يتسم بمقدار جودة عالية وجاذبة للطفل، مكَّنتهم من رفع وعي الناشئة في بلدانهم ودفعتهم إلى التفاعل بإيجابية مع قضايا بيئية، حتى أننا نجد أن الأكثر تفاعلا في مجالس الأمن البيئية والمؤتمرات الباحثة في تغير المناخ هم من شريحة الأطفال الفاعلين والمطالِبين بأن تأخذ الدول دورا فاعلا في الحد من مسببات التغيرات المناخية. **مشكلة الدراسة** متمحورة حول تفنيد جدلية الدراسة الذاهبة إلى تراثنا العربي ليس خلوا من التفاتات تخص البيئة والمحافظة عليها، وأن موضوع الإنسان والبيئة له جذور في أدبنا القديم لكن دون آلية ضابطة ومقننة له يتوجه بموجبها لفئة الصغار تحديدا. وعليه، **فالسؤال المركزي لهذه الدراسة**، وهو: ما أسباب ضعف نتاج أدب الطفل في العالم العربي؟ نعالجه من خلاله **منهجية مزدوجة: تاريخية مقارنة**، فالتاريخية تتمحور أولا حول تأكيد أن جذور رفع وعي الناشئة، والكبار على حدٍ سواء، متوافرة في موروثنا القديم بأنواع **خطابية** مختلفة: دينية وتاريخية وسردية (واقعية وخيالية). وهو ما يؤكد على توفر **مادة المحتوى**، لكن بدون آلية ضابطة وواضحة تربطه بمجال أدب الطفل بالخصوص؛ بينما **المقارنة** تتوجه نحو تأكيد أن توافر هذه **الآلية**، باعتبارها ضابطة لكيفية طرح مادة المحتوى الخاص بالبيئة في صورة جاذبة وذات أثر فاعل في رفع وعي جيل الناشئة بقضايا البيئة، في أدب الطفل عند الغرب، هو ما يجعل نتاجاتهم الموجهة للصغار والمعالجة لمسألة التغيرات المناخية أنموذجا يحتذى به في هذا السياق. البحث **يهدف** إلى تكون **محصلة الدراسة ونتائجها** مجدية ومتميزة، فيما يخص لفت الانتباه لأهمية إنتاج أدب طفل في عالمنا العربي، يجمع بين الفائدة والمتعة في غاياته المرتكزة في إنشائها على أسس علمية مدروسة بحيث تحقق الهدف المنشود منها في رفع وعي جيل قادم بقضية وجود حقيقي (لها أثرها على الهواء الذي يتنفسه، والغذاء الذي يأكله، والماء الذي لا حياة له بدونه).

(أ) المحور الخِطابي: في محاولة للوقوف على الالتفاتات الأولى التي يمكن عدَّها القوالب الأولية التي تشكل في صياغتها ملامح العلاقة بين الإنسان وبيئته، نفتتح بحثنا بمختارات من **نصوص دينية ووثائق تاريخية ومقتطفات سردية،** وثَّقت أولا لفهم أصول العلاقة بين الإنسان ومحيطه الكوني؛ وصورت ثانيا لواقع تلك العلاقة القائم على الوعي الاستهلاكي المفرط من جانب الإنسان لخيرات أرضه؛ ووعَّت ثالثا، عن قصد أو غير قصد، وبشكل مباشر أو غير مباشر، لأهمية تقنين ضوابط العلاقة بينهما؛ بحيث لا تقوم على جانب النفعية المطلقة للإنسان فقط ولكن النفع للإنسان والعناية للبيئة ومواردها في آنٍ معا، بحيث تقترن أوجه المنفعة الغنسانية بمفهوم الاستدامة البيئية.

1: التنزيل القرآني والتأسيس لأصول علاقة وجودية بين الإنسان والكون:

في آية قرآنية صريحة يتوجه بها الخطاب للناشئة في تدبير الوجود، نجد حوارا بين لقمان (ضيف، 1995: 105-107) وابنه يؤصل لفهم مبسّط لهذا المعنى الوجودي وارتباطاته متعددة الأفق والمحاور، يقول تعالى:

(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ، يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (القرآن، لقمان: 13-19).

يبتدئ الحوار في هذا المعنى الوجودي، بين لقمان وابنه، بالتأسيس للقضية الأهم والأعظم في حياة الإنسان والتي هي الغاية من خلقه، وهي الإيمان **بواجد الوجود** ومسبِّبه وخالقه (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ)، مبتدئا تأسيسه لفهم العلاقة بين الخلق والخالق من خلال طرح عمودي للقضية فيه أدنى (مخلوقات) وأعلى (خالق)، ثم يتدنى في مستوى الطرح بنقله من العمودي للأفقي، ليكون بين البشر في علاقاتهم مع بعضهم البعض، وتحديدا في نموذجهم الأولي لعلاقات الوجود السببية من العلاقات الإنسانية، وهي علاقة الإنسان مع الوالدين، وما ينبغي لهم من برٍّ وتوقير، باعتبارهم **أسباب الوجود،** التي لا ينبغي انتفاؤها حتى ولو حرَّضوا أبناءهم بجهالة على كفران مسبِّب الوجود، فتكون المصاحبة لهم - مع

عدم الامتثال لأوامرهم بالكفر - الأساس الثابت لهذه العلاقة بين الموجود من بني الإنسان وأسباب وجوده من الوالدين، دون قطع الصلة بهم. ثم ينتقل طرح قضية الفهم للوجود من خلال العودة لعرض عمودي يلفت فيه الأب ابنه لعلاقة الهيمنة والسيطرة التامة من واجد الوجود على وجوده: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)، فهي ليست سيطرة لأجل التَّجبر والإذلال بل لأنه سبحانه "لطيف يعرف دقائق خلقه وخبير بما ينفعهم ويضرهم." ثم بعد التأسيس لفهم أصيل مبسَّط وموجز لهذه القضية "الدوغما" بما يتناسب وعقلية النشء، ينتقل لقمان للحديث عن **واجبات** الوجود المفروضة على البشرية (من صلاةٍ وأمرٍ بالمعروف ونهي عن المنكر وصبرٍ على الأقدار) لتستقيم حياتهم: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ). ثم هو يُنهي حواره مع ابنه عن **أخلاقيات** الوجود الواجب امتثالها؛ لترتقي حياتهم وتستديم في سلام وأمان: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ). الوصية هنا تمحورت دلالاتها حول تمثُّل أفعال نبيلة (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) والتَّجمل بدماثة أخلاق، تقطع دابر الكِبْر، وهو الخطيئة الأولى التي أخرجت إبليس من الجنة: و(لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)؛ فلا تصول وتجول في أرض الله بلا مبالة وباعتباطية وخيلاء وغطرسة لا يحبها الله، ولا تكون الجهالة هي الأساس في علاقتك بالأرض، بل الوعي والإدراك لهذه (البيئة الإنسانية) وما لها من حقوق علينا باعتبارها الحاضنة الأصل لوجودنا. ويختم لقمان وصاياه لابنه بلفظة هي الأساس في "الاستدامة" بكل أشكالها (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)، هكذا يعلم لقمان ابنه ما ينبغي أن يكون عليه أشكال التعامل مع الوجود، في أبسط صوره الأقرب لفهم سنه، لمعاني متعلقة بـ(القصد)، بكل أشكاله، تأسيسا من أولى حركات الإنسان على وجه الأرض (المشي)، ثم انطلاقا إلى ضبط نبرة الصوت بالغض منها فلا تتجاوز بالعلو بما يجعلها مذمومة كنهيق الحمير، ليتم بعد ذلك توسيع دائرة "الضبط والقصد" لمستويات عديدة تترقى وتتصاعد مع ترقي المخاطب في إدراكته الاستيعابية المرتبطة بتطورات عمره وسلوكياته المستجدة. فهي إن ابتدأت بتهذيب النفس على مفهوم "القصد" في المشي و"ضبط" الصوت صغيرا، فبالضرورة ستتصاعد لاحقا لتكون ديدن حياة في كل أعماله وتصرفاته المستقبلية، بحيث تنتقل من كونها فعل (قصد) فردي لشخص بعينه لتكون فعل (اقتصاد) جمعي لمجتمع بأكمله، تربى الناشئة فيه على هذه المعاني المؤسِّسة لأخلاقيات التعامل مع الوجود بانضباط. بناءً على ما سبق، يكون "القصد" ليس على مستوى المشي أو خفض الصوت فقط (لأنها ممارسات منكرة لا يحبها الخالق) بل

يتجاوز ذلك ليكون "اقتصاد" مجتمع بأكمله يراعي استخدام كل الطاقات والموارد الطبيعية التي بثها الله في أرضه بشكل يؤكد على معنى الاستدامة التي تجعل تلك الموارد والطاقات متاحة الاستخدام والاستفادة منها على مدى أجيال عديدة تعمر الأرض جيلا بعد جيل، وليست مقصورة على "مبذرين، مسرفين،" مقصورة نظرتهم على أنَّ الإنسان هو محور الكون، ولا يتسع أفقهم لفهم أن هناك علاقة "مصيرية" بين الإنسان والبيئة: ترتبط فيها سلامة أولهما باستدامة مدخرات ثانيهما.

2.التوجيهات النبوية الضابطة للتعامل مع الموارد البيئية على أسس إنسانية:

انضبطت التوجيهات النبوية بما نزل به الوحي الكريم على سيدنا محمد ﷺ الذي سار على هداه صحابته وأتباعه من رعيل وولاة الأمر الأوليين خصوصا. فقد جاءت التوجيهات الرَّبانية مؤكدة على النهي عن "الإسراف" بمطلق حيثياته، فقال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (القرآن، الأعراف: 31). وقال تعالى أيضا: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (القرآن، الإسراء: 26-27). وقد اتبعت السنة النبوية هذه التوجيهات شكلا ومضمونا. ومما جاء في سياق هذا الاتباع من أحاديث نبوية أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "كُلُوا واشْرَبُوا والبَسُوا وتصدَّقوا، من غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى نِعْمَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ." وفي الحديثِ: "بيانُ سَعَةِ الإسلامِ وتَيسيرِه على النَّاسِ في المباحاتِ، دونَ إفراطٍ مُخِلٍّ بالمالِ أو النَّفسِ أو الدُّنيا والآخرةِ. وفيه: الحثُّ على التَّرشيدِ للنَّفسِ والتَّحكُّمِ في شِهواتِه" (موقع إلكتروني: *الدُّرر السنية* (التخريج: النسائي (2559)، وابن ماجه (3605)، 1443هـ). وَقَالَ أيضا عليه الصلاة والسلام: "ما ملأ ابنُ آدم وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ فَاعِلًا لَا محالةَ فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ." (موقع إلكتروني: *الدُّرر السنية* (التخريج: الترمذي (2380) وغيره، 1443هـ). ثم هو - عليه الصلاة والسلام - في توجيهاته المباشرة بالحفاظ على بيئة طبيعية يأمر بأن: "من قطع شجرة فليغرس مكانها،" فتكون استجابة أصحابه بأن قالوا "فغُرست الغابة." (البلاذري، 1987: 171). وهو أيضا يحث على عملية التخضير للأراضي بقوله: "لا يغرس مسلم غرسا، ولا يزرع زرعا، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة." (موقع إلكتروني: *الدُّرر السنية* (صحيح مسلم: 1552)، 1443هـ). ثم هو يؤكد على على هذا المعنى في تخضير الأرض وزراعتها بقوله: "لئن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل." (موقع إلكتروني: *الدَّرر السنية* (الألباني: 371)، 1443هـ). فأي موقف أشد هولا وأشد فزعا وأشد إلهاءً للإنسان عن

نفسه وماله وولده من مواجهة قيام الساعة وأهوالها، ومع ذلك نجده ﷺ يحث على التخضير والغرس لفسيلة بالضرورة مآلها الدمار اللاحق بالأرض بكاملها من أهوال الساعة، وفي ذلك العرض تأكيد على أهمية الاهتمام بالبيئة والأرض والعناية بها وتشجيرها لأنها مستحقة لعنايتنا. وفي عملية تنظيم سقيا مياه الزراعة نجده ﷺ قد قضى في وادي مهزور "أن يحبس الماء في الأرض إلى الكعبين ثم يرسل إلى الأخرى، لا يمنع الأعلى الأسفل" (ابن شبَّه، 1399هـ، ج. 1، ص.171). لكن هذا الاهتمام برفع الوعي بالطبيعة ومواردها لم يعنِ أن يكون الإنسان أسيرها بمفهوم رومانسي بل واقعي يتوافق واستمرارية الحياة البشرية والكونية بشكلها الذي يجعل للإنسان القيمة الأهم والهيمنة باعتباره الأعلى على الأدنى، كما هو المنهج الرَّباني الذي أوحى بأنه الله سبحانه وتعالى سخر الشمس والقمر والكون بأكمله لتذليل حياة الإنسان على كوكبه: (أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا، وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا، وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا، وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا، وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا، وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا، وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا، وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا، وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا، لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا، وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا) (القرآن، النبأ: 30، 6-16). كما أنه - تعالى في عظمته - أخبر أنَّه سبحانه فضَّله - أي الإنسان – على كثير من مخلوقاته: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (القرآن، الإسراء: 70). وفي ضوء هذا المنهج الربَّاني نجد أحاديث نبوية تدلل على أنه في حال شكّلت البيئة الطبيعية ضررا على مصلحة مجموعة إنسانية عامة (وليست فردية شخصية)، فعندها تتقدم مصلحة الجماعة الإنسانية على البيئة. من ذلك الحديث: "مَرَّ رجلٌ بغُصْنِ شجرةٍ على ظَهْرِ طريقٍ، فقال: واللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمينَ؛ لا يُؤْذِيهِم، فأُدْخِلَ الجنةَ." (موقع إلكتروني: *الدُّرر السنية* (أخرجه البخاري (2472)، ومسلم (1914) واللفظ له)، 1443هـ)، وفي حديث آخر: "لقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ." (موقع إلكتروني: *الدّرر السنية* (صحيح مسلم: 1914)، **1443هـ).**

يتبع أصحاب الرسول محمد ﷺ خُطا نبيهم في الاهتمام بالأرض ومواردها، وفي وصية أبى بكر الصديق لجنود الإسلام قبل فتح بلاد الشام (12 هـ.) قال:

> "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قِفُوا أُوصِكُمْ بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي: لا تَخُونُوا وَلا تَغِلُّوا، وَلا تَغْدِرُوا وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا طِفْلا صَغِيرًا، وَلا شَيْخًا كَبِيرًا وَلا امْرَأَةً، **وَلا تَعْقِرُوا نَخْلا وَلا تُحَرِّقُوهُ، وَلا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلا تَذْبَحُوا شَاةً وَلا بَقَرَةً وَلا بَعِيرًا إِلا لِمَأْكَلَةٍ**، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وَسَوْفَ تَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ

يَأْتُونَكُمْ بِآنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا وَتَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُءُوسِهِمْ وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفِقُوهُمْ بِالسَّيْفِ خَفْقًا انْدَفِعُوا باسم الله، أفناكم اللَّهُ بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ." (الطبري، 1967: 3، 226-227).

الجميل أنَّ هذا الجيش أمر الخليفة أبو بكر الصديق بتسييره بقيادة أسامة بن زيد (7-54هـ) الذي وُلد في الإسلام، وكان له من العمر عشرون سنة، أو ثماني عشرة سنة على أقوال أخرى، عند موت النبي ﷺ. حيث كان أول أمر هذه البعثة أن جُهِّزت بقيادة هذا الشاب الصغير في عهد الرسول ﷺ، فلما توفِّي رسول الله ﷺ قبل تسييرها، وتولى خلافة المسلمين من بعده أبو بكر الصديق، رفض الصدِّيق تغيير القيادة لمن اختاره الرسول ﷺ في حياته بآخر من غيره من القادة الأكبر سنا، احتراما لقرار الرسول ﷺ، وذلك في مقولته الشهيرة: "لَوْ خَطَّفَتْنِي الْكِلابُ وَالذِّئَابُ لَمْ أَرُدَّ قَضَاءً قَضَى به رسول الله ﷺ!" (الطبري، 1967، ج. 3، ص. 226)، ما يعني، أن هذه النصيحة التي أوصى فيها خليفة المسلمين بألا تُعقر نخلة ولا تُحرق، وألا تُقطع شجرة مثمرة، وألا يُذبح بعير إلا لحاجة الناس للطعام وقت الحرب، يدل على أنها موجهة لعامة الناس صغارهم وكبارهم. وهنا دلالة على أنَّ الصغار في مجتمع العرب قديما كانوا يُعاملون معاملة الكبار بمجرد الشَّبِّ عن الطوق ودخول مرحلة البلوغ، وربما هذا ما يعلِّل عدم وجود فواصل واضحة بين ما كان يقدم للصغار والكبار من نصائح وآداب وتوجيهات بخصوص البيئة وأساليب التعامل معها في تراثنا العربي القديم.

يتولى السير على دأب الرسول ﷺ وأصحابه، فيما يخص العناية بالبيئة ومواردها، قلةٌ من خلفاء المسلمين بعد عهد الراشدين، وعلى رأسهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت. 101هـ) الذي يُرسل لعماله الأومر بالاقتصاد في النفقات المعتمدة على موارد بيئية: فيوبخ أحدهم لأنه طلب التَّزود بإضاءة تكلف الدولة عددا من الشموع، فيقول له: "قد كان في قنديل أهلك ما يغنيك!" ويقول أيضا في طلبه التَّزود بأدوات كتابية من حساب الدولة: "أدِّق القلم؛ فإنه أبقى للقرطاس، وأوجز الحروف." (محمد، 1988، 133-134). وهكذا نشأ جيل كامل على دين رسولهم ﷺ، فيما يخص نظرتهم الاقتصادية المعتمدة على الترشيد في الإنفاق الذي باعثه إمَّا الحرص على اتباع تعاليم دينية تحث على ذلك وتجعله من عصب الإيمان؛ أو بغرض الإنفاق في الاستهلاك نتيجة

لفقر وظروف اقتصادية ضنكة، أو لاعتبارات إيديولوجية حاكمة أطَّرت لمنهجية حاكم بعينه في زمن العرب الأوليين.

تأصلت إذن نظرة اقتصادية عند جيل الآباء الأقدمين في المجتمعات العربية وأبنائهم بالتبيعة، وقد حاولوا تأصيلها بطرق سردية فنية، وهو ما نوجه إليه دفة البحث فيما يلي؛ لنتعرف على الأساليب الفنية التي تم من خلالها طرح أفكار متعلقة بالعلاقة الثنائية بين الإنسان وبيئته، وموجَّهه لجمهور الصغار ابتداءً والشباب ثانيا.

3. السرد القديم وجذور أدب التغير المناخي والأدب البيئي:

لابد من التوضح هنا أن ما سنعرِّج عليه من نوعية كتابة هنا، عن أهمية الاستدامة لمدخرات الطبيعة، بكل أشكالها من حيوانية ونباتية ومائية، لم تتناولها مصادر السرد العربي القديمة باعتبارات مشابهة لما هو حاصل في عالمنا الحاضر؛ بحيث تربطها بمسألة أثر اختلال توازن الموارد الطبيعية على احتمالية مخاطر قد تصيب أرضنا في مستقبل الأيام. ذلك أن نوعية التآليف في تلك السرديات القديمة، عن مشكلات بيئية (من مثل: الصيد الجائر، والهدر المائي، وتصحير المساحات الخضراء ... إلخ)، لم تؤلَّف بقصد لفت النظر لهكذا مشكلات بل هي مؤلَّفة من وحي فطرة سليمة لم تكن بحاجة لكثير دراسات توعية بمخاطر هكذا أفعال على البشرية مستقبلا. فيما يلي، نخصص البحث في قراءة بعض الإخباريات التي تتناول موضوع "القصد في موارد الطبيعة" كما مارسها القدماء، من حيث الكيفية والدوافع. وهي إخباريات يتنوع أسلوب طرحها ما بين السرد المتخيل (كما هي بعض الحكايات المختارة من قصص كليلة ودمنة لابن المقفع (ت. 142هـ/ 759م))؛ والسرد الواقعي (كما هي قصص المسجديين الواردة في بخلاء الجاحظ (ت. 255هـ/ 869م)). وقد تم اختيار هذه النوعيات من السرد تحديدا، لأنه رواياتها فيها قصدية التَّوجه لجمهور الصغار بشكل مباشر، كما يصرِّح بذلك ابن المقفع في مقدمة حكاياته عن *كليلة ودمنة*؛ أو بشكل غير مباشر، كما هو الطرح في "قصص المسجديين" للجاحظ، التي كان مكان رواياتها هي حلقات المساجد المشهورة في زمن السابقين بأنها ملتقى تعليم الناشئة لشتى المعارف واستماعهم لمختلف القصص المؤدبة لهم.

3. 1: السرد المتخيل وأطروحة الخلاص البيئي:

في نماذج من السرد المتخيل على ألسنة الحيوان، نجد ابن المقفع (ت. 142هـ/ 759م) يقدم لنا بعض القصص المترجمة عن الهنود القدماء المنقولة من لغتهم

السنسكريتية القديمة إلى الفهلوية الفارسية التي نقل منها ابن المقفع ترجمته لها إلى العربية فيما هو معنون بقصص *كليلة ودمنة*. وفيها من الحكايات ما يكشف عن أن تعاطف الإنسان مع ما تطور أخيرا وأصبح قضايا تمس الحفاظ على مكتنزات الكوكب الأرضي هو شيء عرفته الأمم والحضارات السابقة بالفطرة السليمة، ونبَّهت إلي أهميته بما توافر لها من أساليب تثقيفية، توافقت وأساليب الطرح في زمانها. مثال ذلك، ما تضمنته تلك الحكايات عن أساليب خلاص الحيوانات من الصيد الغاشم وأدواته البدائية، فيما ترجمه لنا ابن المقفع من قصة بعنوان "الحمامة المطوقة،" وهي من القصص المولَّدة عن القصة الإطار *كليلة ودمنة*. وفيها يقدِّم بالتحذير من عاقبة الادخار والجمع والتكنيز لموارد الطبيعة الحية بعشوائية، ويقص بصددها القصة الاعتبارية التالية:

> **"خرج رجلٌ من القُنَّاص غاديًا بفرسه ونُشَّابه يلتمس الصيد، فلم يُجاوِز بعيدًا حتى رمى ظبيًا فأصابه، وحمله ورجع مُنصرفًا يريد منزله، فعرض له في طريقه خنزير فحمل عليه، فوضع الرجلُ الظبي وأخذ القوس ورماه بالسهم فأنفذه، وأدركه الخنزير فضربه بنابه ضربة أطارت القوس والنشَّاب من يده، فوقعا جميعًا مَيْتَين، فأتى عليهما ذئب، فلمَّا رآهما وثِق بالخِصب في نفسه، وقال: ينبغي أن أدَّخر ما استطعت، فإنَّه مَن فرَّط في الجمع والادِّخار فليس بحازمٍ، وأنا جاعلٌ ما وجدتُ كنزًا، ومكتفٍ يومي هذا بوتَر القوس، فدنا منه ليأكله، فلما قطع الوتر طارت القوس فأصابت سِيَتها مقتلًا من جوفه فمات.**" (ابن المقفع (تر.)، 2014: 128).

هكذا تظهر هذه الحكايات كيف أن الصيد الجائر عاقبته وخيمة، وتظهر كيف أن هذا الصائد الجشع الذي لم يكتفِ بصيده للظبي حتى أراد أن يجمع معه الخنزير فكان نتيجة اشتباكهما أن قتل كلٌّ منها الآخر، فيأتي عليهما الذئب، الذي هو رمزٌ للجشع البشري، وقد تأسست إيديولوجيته في الادخار على ما تفوه به من قوله: " ينبغي أن أدَّخر ما استطعت، فإنَّه مَن فرَّط في الجمع والادِّخار فليس بحازمٍ، وأنا جاعلٌ ما وجدتُ كنزًا!" ويحاول بجشعه أن يبدأ بما التصق بوتر قوس الصياد من لحم الفريسة، فتكون عاقبته أن ينقطع الوتر، ويطير سهم القوس، فيصيبه في مقتل. هكذا هو عرض الحضارات القديمة لمفاهيم متعلقه بالطمع البشري في مدخرات الطبيعة في أبسط تصور له وأبلغ معانٍ في التعبير عنه، تؤسس دلالاتها لمفهوم الفناء الحتمي للقاتل (الصياد/ الإنسان) والمقتول (الفريسة/ الطبيعة) معا، في حال كان الدافع لأصول التعامل بينهما هو "الأنانية والاكتناز" وليس "المنفعة المتبادلة." هكذا تعالج هذه القصة الاعتبارية مسألة عاقبة الإفراط في الصيد العشوائي والتجني على الطبيعة ومواردها، وبها يتم التقديم لقصة

"الحمامة المطوقة،" وخلاصتها أنها تتحدث عن حمامة من نوع المطوقة تقع في شباك صيد مع سربها، وتحاول جاهدة تخليص مجموعتها، قبل نفسها، من براثن شباكه. فتطلب منهن النهوض بعزيمة نفسٍ واحدة والرفرفة بأجنحتهم المنغرسة في الشباك للوصول إلى مكان مكتظٍ بالسَّكان، تغفل عنه عين الصياد، فلا يستطيع اللحاق بهم. وهي في محاولات خلاصها تصادف صديقها الجِرذ الذي يساعدهم في الخلاص بقرض الشباك بنواجزه. ثم بمعرفتهم ما تجنيه الصداقة من فك أزمات وتفريج كربات، كما حصل بخلاصهم من الشباك، تتطور الحكاية لتوسيع دائرة تلك الصداقة لتكون بين المختلفين من أجناس الحيوانات فتجمع ما بين سرب الحمام والجرذ والغراب والسلحفاة والظبي. (ابن المقفع (تر.)، 2014: 123-135). وهكذا تقرِّر هذه النوعية من الحكايات أن الإنقاذ والخلاص يكون بالتكاتف واتحاد الرأي على الخير والحق، وإن تعددت واختلفت الأعراق والأجناس. والأهم أنها تعطي الأضعف من المخلوقات دورا إيجابيا، يمكِّنه به من مغالبة القاهر من الظروف والخروج منتصرا فيها، فتحفِّز بذلك جمهور قرَّاء هذه الحكايات من الصغار على التصديق بقدراتهم وإمكانية التغيير للأحسن، وذلك بعد أن رأوا أن الأضعف منهم (وهو الحيوانات) نال ذلك بإعماله الإرادة والعزيمة الصادقة، وتعزز أيضا فيهم روح التآلف مع المحيط بكل أشكاله (من حيوانية وغيرها) وذلك بتوحدهم مع أحداثها.

هكذا نوعية من سرديات خيالية على ألسنة الحيوانات يمكن اعتبارها الجذور الأولى لما سيتم تصنيفه حديثا بالأدب البيئي، كما سنرى لاحقا. وأهميتها تكمن في إشارتها للهمِّ المشترك بين أبناء البشرية في كل زمان وكل مكان بما يخص التوعية بأهمية المحافظة على موارد كوكبنا الذي نعيش عليه. وهنا ينبغي الإشارة إلى أن *كليلة ودمنة*، كما هي الحقيقة الثابتة عنها، هي مؤلفات أصلها سنسكريتية عن اللغة الهندية القديمة، وهذا الحبك لهذه النوعية من الحكايات، بما فيها من مضامين خُلقية وسياسية واجتماعية، على ألسنة الحيوان، لم يُقصد بها ابتداءً أن تكون رواجا بين العامة وصغارهم، بل حِكرا على الملوك وأعيانهم، حتى أنها خُزِّنت مع النفيس من مدخراتهم، وحوكم بالخيانة من حاول تداولها، باعتبارها وثائق الدولة السرية. هكذا كانت أهمية كليلة ودمنة وهكذا كانت غايات الطرح لمضامينها وما فيها من إشارات عن الجمع والادخار العشوائي لموارد الطبيعة الحية، بقصدية التنبيه لملوكهم بأهمية تنظيم عمليات الصيد الجائر، وجعلها في حدود "الحاجات الإنسانية" وليست "الأطماع البشرية."

هذا الطرح أعلاه، هو ما فهمته الأجيال التي تناقلت هذه الوثائق بالترجمة، بعد أن فكَّ الزمن شفرتها وأباح لهم تداولها بين العامة فلم تعد حكرا على الخاصة (ابن المقفع (تر.)، 2014: [جزئية تصدير الطبعة بقلم طه حسين: 7-10؛

والمقدمة بقلم عبد الوهاب عزام: 11-42]). ولذا، فعندما يعيد ابن المقفع طرح تلك المضامين بتعمد اختيار أساليب جاذبة مع يصرِّح بأن إحدى غايات ترجمته لهذه الحكايات هي أن تكون **متداولة بين الصبيان الصغار** الذين يقرُّ أنهم ربما لا يفهمون حكمتها المتضمنة آنيا لكنها ستكون لهم ذخيرة في مستقبل أيامهم، حيث يقول في جزئية الكتاب المعنونة "باب عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع":

> **"هذا كتاب كليلة ودمنة، وهو مما وضعته علماءُ الهند من الأمثال والأحاديث، التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول، في النحو الذي أرادوا، ولم يزل العقلاء من أهل كل زمان يلتمسون أن يُعقَل عنهم، ويحتالون لذلك بصنوف الحيَل، ويطلبون إخراج ما عندهم من العلل، فدعاهم ذلك إلى أن وضعوا هذا الكتاب، ولخصوا فيه من بليغ الكلام ومتقَنه على أفواه الطير والبهائم والسباع؛ فاجتمع لهم من ذلك أمران: أمَّا هم فوجدوا متصرفا في القول، وشعابا يأخذون فيها، وأمَّا هو فجمع لهوا وحكمة، فاجتباه الحكماء لحكمته، والسخفاء للَهوه، وأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم فنشطوا لعلمه، وخفَّ عليهم حفْظه . فإذا احتنك الحدثُ واجتمع له أمره، وثاب إليه عقله، وتدبَّر ما كان حِفظ منه وما وعاه في نفسه، وهو لا يدري ما هو، عَرف أنه قد ظفر من ذلك بكنوز عظام، فكان كالرجل يدرك فيجد أباه قد كنز له من الذهب والفضة، واعتقد له ما استغنى به عن استقبال السعي والطلب، ولم يكن ـــ إذ كثرت صنوف أصول العلم ثم تفرعت فروعها ـــ فلابدٌّ من أن تكثُر العلل التي تجري عليها أقاويل العلماء."** (ابن المقفع (تر.)، 2014: 45).

هكذا يقرر ابن المقفع إذن، في التقديم لترجمته، أن الكتاب لم يعد قصرا على فئة الصفوة من المتلقين، كما كان غاياته عهد التأليف السنسكريتي له. بل هو، بجمعه بين الحكمة القائم عليها مضمونه واللهو في عرضه من خلال شخوص حيوانية، أصبح منالا لكل فئات القراء على اختلافهم، ما بين: 1-الحكماء، من أصحاب العقول المدركة لكنْهه وخفياته؛ و2-السخفاء، من غير المبالين بما يجري حولهم من أحداث هامة تهم الإنسانية وتؤرقها؛ و3-الأهم، بالنسبة لنا، الأحداث من صغار السن الذين قد تكون إدراكاتهم قاصرة عن استيعاب مضامينه صغارا لكنها بتطورها ستجليها لهم في مستقبل أيامهم. فالزمن كفيل بأن يجعلها تختمر وتتفتق عن معانيها الحياتية المضمرة، فتكون كالكنز من الذهب والفضة الذي يكتنزه الوالد لصغاره، ليستغنوا به عن إرهاق أجسادهم في تحصيل أرزاقهم كبارا.

هكذا هو فهم الأوليين للكيفية التي ينبغي بها تعليم الناشئة للعظيم من القضايا، من مثل ما تضمنته قصة "الصيد الجائر" و"الحمامة المطوقة،" في الوارد أعلاه، بحيث تم صياغتهما بأساليب جاذبة تثير فيهم عاطفتي *الشفقة* على الحيوانات المجار عليها بصيد عشوائي *والخوف* من القتل العبثي لهم، وتطرحه في إطار الجشع الآدمي وحب التملك الأناني؛ لتعزز فيهم الكره لإتيان هكذا أعمال ذميمة، وتحثهم بالضرورة على *النبيل* من أعمال، ترتبط في ذاكرتهم الدفينة بالحفاظ على مدخرات بيئتهم الحيوانية التي ستتسامى بالضرورة لاحقا لتربط ذلك الفهم بالحفاظ على كل ما هو في خانة تلك "المدخرات البيئية،" من شجر وطير وغابات ومعادن، وليس الحيوان فقط.

3. 2: السرد الواقعي ودوافع الاستدامة البيئية:

الباحث عن نوعية قصص تظهر طرق اقتصاد أسلافنا في استخدام موارد الطبيعة، مع التنقيب عن دوافعهم في الحرص وعدم الإسراف تثيره الدهشة من بعض تفصيلات مارسوها في حياتهم، يمكن أن تُدرج ضمن أساليب الترشيد والاقتصاد، المفضية إلى الحفاظ على بيئة متوازنة ومستدامة. العجيب أن بعضا من القصص المختارة للعرض هنا مدرجة في تصنيف الأوائل ضمن حكايات البخل وليس الترشيد، ومن ذلك ما نقرأه في "حكايات المسجديين." وهم فئة من فقراء العراق، كانوا يجتمعون في حلقات المساجد، ويتناقلون أخبارهم فيما يخص طرق اقتصاد كلٍّ منهم في النفقة وأوجه تدبير معاشه. من تلك الحكايات ما جمعها لنا الجاحظ في كتابه *البخلاء*، وابتدأ فيها بحكاية صاحب الحمار وتدبيره لسقياه بصهريج ماء صنعه، فيقول:

> **"اجتمع ناسٌ في المسجد، ممن *ينتحلُ الاقتصادَ في النفقة والتثمير للمال*، من أصحاب الجمعِ والمنعِ. وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسبِ الذي يجمعُ على التحابّ، وكالحِلفِ الذي يجمعُ على التناصر. فقال شيخٌ منهم: ماء بئرِنا، كما قد علمتم، مالحٌ أجاجٌ، لا يقربه الحمار، ولا تسيغه الإبل، وتموت عليه النخل؛ والنهر منا بعيد، وفي تكلّف العَذْب علينا مئونة. فكنّا نمزج منه للحمار فاعتلّ منه، وانتفض علينا من أجله. فصرنا، بعد ذلك، نسقيه العذب صرفا. وكنتُ أنا والنعجة** [دعابة: يقصد هو وزوجه] **كثيرا ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار. فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلا. ثم انفتح لي فيه بابٌ من الإصلاح، فعمدتُ الى ذلك المُتوضَّأ، فجعلتُ في ناحية منه حفرة وصهرجتها وملّستها، حتى صارت كأنها صخرة**

منقورة، وصوّبت اليها المسيل، فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء اليها صافيا، لم يخالطه شيء. ولولا التعبّد لكان جلد المتغوّط أحقّ بالنّتن، من جلد الجنب، فمقادير طيب الجلود واحدة، والماء على حاله، والحمار أيضا لا تقزّز له من ماء الجنابة، وليس علينا حرج في سقيه منه، وما علينا أن كتابا حرّمه، ولا سنّة نهت عنه، فربحنا هذه منذ أيام، وأسقطنا مئونة عن النفس والمال. قال القوم: هذا بتوفيق الله و منّه."
(الجاحظ، د.ت.: 29)

هكذا يدبِّر أحد الفقراء الذين اضطَّرتهم صعوبة معاشهم إلى تمثل أفعال أصحاب الجمع والمنع من البخلاء الذين يجمعون الدرهم فلا يطلقون سراحه في الإنفاق، فكان منهم صاحب الحمار الذي تدبَّر أمر سقيا بهيمته ابتداءً بماء مالح، لبعد مياه النهر العذبة عنهم، لكنه يجد آثار شرب الحمار لذلك الماء الأجاج عِللا تصيبه فتمنعه عن خدمته، فيتعطل لذلك أمر معاشهم المعتمد على ذلك الحمار. فكان أن فكَّر الرجل في أن يفيد حماره من ماء عذب كان يجلبه ليغتسل به، بأن يبني صهريجا (حوض ماء يُطلى بالصاروج؛ أي بالكلس) يغتسل فيه، يمنع الماء النازل عن جسده من الذهاب سدى في التراب، فيكون الصهريج بمثابة حوض اغتسال له ولأهل بيته بينما يكون موردا للماء يشرب منه حماره بقايا الماء العذب المتسربة من استحمامهم فيه. فيوفر بذلك من مشقة استجلاب ماء عذب لاستحمامه الشخصي وآخر لشرب حماره، ويحمي حماره، في ذات الوقت، من العلل التي قد تصيبه من الماء الأجاج غير الصالح للشرب. هكذا "صناعة الصهاريج" تحوِّل ماء الاستحمام الناتج عن الاستخدام الآدمي إلى مصدر لشرب الحيوانات، فتوفر من الهدر المائي، وتسهم في استدامته، وتجعل مصبات المياه ذات فائدة مزدوجة (للإنسان والحيوان) وليست أحادية فقط، "وتسقط عن أصحابها مئونة عن النفس والمال،" كما قال ذلك المسجدي صاحب النظرة الاقتصادية، الموسومة في كتاب الجاحظ بـ"البخل" لأنها، وإن كانت تصب في مفاهيم الترشيد والاقتصاد، إلا أن غاياتها نفعية بحتة يستفيد منها صاحب المشروع، وتنقصها النبالة التي تعالج نقاوة الماء العذب المستفاد منه ابتداءً في الاستخدام الآدمي قبل عرضه للاستهلاك الحيواني.

في القصة الثانية من قصص المسجديين، يقبل أحدهم على رفاقه مستفسرا عن وصول خبر وفاة امرأة تدعى مريم الصنَّاع، فيقول:

"هل شعرتم بموت مريم الصنّاع؟ فإنها كانت من ذوات الاقتصاد، وصاحبةَ إصلاح؟ قالوا: فحدثنا عنها، قال: نوادرها كثيرة، وحديثها طويل، ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية.

قالوا: وما هي؟ قال: زوَّجت ابنتها، وهي بنت اثنتي عشرة سنة، فحلّتها الذهب والفضّة، وكستها المروي والوشي والقز والخز، وعلّقت المعصفر ودقت الطيب، وعظّمت أمرها في عين الختن، ورفعت من قدرها عند الأحماء. فقال لها زوجها: أنّى لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي عنك، وهاتي التفسير، والله ما كنتِ ذات مال قديما، ولا ورثتِه حديثا، وما أنت بخائنة في نفسك، ولا في مال بعلك، إلا أن تكوني قد وقعتِ على كنز! و كيفما دار الأمر؟ فقد أسقطت عني مئونة، و كفيتني هذه النائبة. قالت: اعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوّجتها، كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة؛ و كنّا، كما قد علمت، نخبز في كل يوم مرّة، فإذا اجتمع من ذلك مكوك بعتُه. فقال لها زوجها: ثبّت الله رأيك وأرشدك، فقد أسعد الله من كنتِ له سكنا، وبارك لمن جعلتِ له إلفا. ولهذا و شبهه، قال رسول الله ـ صلّى الله عليه و سلّم: "من الذود الى الذود إبل،" وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح، وعلى مذهبك المحمود. وما فرحي بهذا منكِ بأشدَّ من فرحي بما يثبّت الله بكِ في عقبي من هذه الطريقة المرضية. فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها، وصلّوا عليها، ثم انكفئوا إلى زوجها فعزّوه على مصيبته، و شاركوه في حزنه." (الجاحظ، د.ت.: 30).

هكذا تذاكر هؤلاء المسجديِّون أخبار امرأة منذ أن كانت في سني عمرها المبكرة النضرة (كما هو الخبر الوارد في الحكاية عن تزويجهم البنات في سن الثانية عشرة)، وقد دبّرت أمر مؤنة زواج ابنتها منذ لحظة ولادتها، وذلك بحفظ حفنة من دقيق، لم تؤثر في تدبير شؤون أمرها مع بيتها؛ فلم يشعر زوجها وأهل بيتها باقتطاعها من قوتهم طوال اثنتي عشرة عاما، ثم إذا اجتمع لها من مقداره ما يصلح لبيعه (وهو المكوك: مكيال يسع ضعف رطل إلى ثماني أواقٍ (مفرد أوقية)) باعته، واكتنزت حقه فلم تمسه إلى جاء يوم الوقت الموعود وتقدم خاطب لابنتها فجهزتها مما كانت اختزنته لها من مال، بأن اشترت لها الذهب والفضة والحرير، وألبستها المروي (ثياب منسوبة الى "مرو" بلد في العراق على شط الفرات) والوشي (الثياب المزركشة المنقوشة) والثياب الحريرية من القز والخز، وجمّلتها بالمعصفر من الثياب (ما صُبغ بالعُصفر/ صبغٌ أصفر اللون) وعطّرتها بالطيب المدقوق. فأكبرت من شأنها أمام زوجها وأهلها من الأصهار، وأعلت من مكانة أبيها بين أحمائها من آباء زوجها، إذ الظن أنه -أي الأب-هو من قام بذلك بجهده، فكفته بذلك ما كان وصفه الزوج بـ"النائبة" التي

عبَّر بها عن كلفة ومشقة تجهيز عرس ابنتهما، فكافأها بالدعاء لهذه الزوج "السَّكن" التي كانت نعم العشير لزوجها الذي استأنس بها وبتدبيرها أمور معاشتهم. وهم على قناعة بما استقرَّ في الذهنية الجمعية آنذاك من أحاديث ربطت بمصادرها الدينية: "من الذود إلى الذود إبل،" وهو أن الجمع للقليل يفضي للكثرة: وذلك أن الجمع للإبل من اثنين إلى تسعة أو ثلاثة لعشرة يمكن زيادته ليكون قطيعا جرارا من الإبل مستقبلا.

هكذا هي نوعية القصص التي كانت تدار بين المسجديين ممن استمع إليها الكبار والصغار، لأنها تقصُّ في حلقات المساجد، الذي مثل بؤرة تجمع لمن أراد تحصيل معارف واكتساب خبرات، من صغار السن وكبارهم على السواء، من هكذا إخباريات من نوعية السرديات الواقعية. وتلحق بهذه القصة أخرى تالية عليها، يبتدؤها قاصُّها بالتعقيب على الأولى بقوله:

> **"ثم اندفع شيخ منهم فقال: يا قوم لا تحقّروا صغار الأمور، فإن أول كل كبير صغير، ومتى شاء الله أن يعظّم صغيرا عظّمه، وأن يكثر قليلا كثّره. وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟ وهل الدرهم إلا قيراط إلى جنب قيراط؟ أوليس كذلك رمل عالج** [جبال عالية تتصل بالصحراء و تتّسع اتساعا كثيرا حتى قيل: رمل عالج يحيط بأكثر أرض العرب] **وماء البحر؟ وهل اجتمعت أموال بيوت الأموال إلا بدرهم من هاهنا ودرهم من هاهنا؟ فقد رأيت صاحب سقط** [الشيء الخسيس] **قد اعتقد مائة جريب في أرض العرب، ولربما رأيته يبيع الفلفل بقيراط والحمص بقيراط، فأعلم أنه لم يربح في ذلك الفلفل إلا الحبة والحبتين من خشب الفلفل، فلم يزل يجمع من الصغار الكبار حتى اجتمع ما اشترى به مائة جريب!"** (الجاحظ، د.ت.: 31).

وهكذا بعد أن يقدِّم لرأيه في تحسين الاقتصاد وسبيل التوفير بادخار القليل إلى القليل لتحصيل الكثير، ويضرب على ذلك مثلا بالرجل من أصحاب الإقطاعات الأرضية الذي أثرى باعتقاد (جمع) الأموال من متاجرته في مساحة مائة جريب من أرض العرب، وذلك بعد أن كان معدما، من جراء بيعه ابتداءً لقراريط من البخيس من الفلفل والحمص، ثم يسرد لنا تجربته الشخصية في اقتصاد النفقة، بعد مروره بحالة مرضية تطلبت علاجه بماء النخالة، فيقول:

> **"ثم قال: اشتكيت أياماً صدري من سعال كان أصابني فأمرني قوم بالفانيذ** [نوع من الحلواء الفارسية] **السكري، وأشار عليَّ آخرون بالخزيرة** [ضرب آخر من الحلواء]**، تتخذ من النشاشتج** [النشاء: فارسي معرَّب] **والسكر ودهن اللوز**

وأشباه ذلك. فاستثقلت المؤنة، وكرهت الكلفة، ورجوت العافية. فبينا أنا أدافع الأيام، إذ قال لي بعض الموفَّقين: عليك بماء النخالة فاحسسه حاراً، فحسوتُ فإذا هو طيبٌ جداً، وإذا هو يعصم [من الجوع]**؛ فما جعت ولا اشتهيت الغذاء في ذلك اليوم إلى الظهر! ثم ما فرغت من غدائي وغسل يدي حتى قاربت العصر. فلما قرب وقت غدائي من وقت عشائي، طويت العشاء وعرفت قصدي، فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالةً؟ فإنَّ ماءها جلاءٌ للصدر، وقوتها غذاءٌ وعصمةٌ، ثم تجففين بعد النخالة، فتعود كما كانت، فتبيعينه إذا اجتمع بمثل الثمن الأول، ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين؟ قالت: أرجو أن يكون الله قد جمع بهذا السعال مصالح كثيرة؛ لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك وصلاح معاشك، وما أشك أن تلك المشورة كانت من التوفيق! قال القوم: صدقتَ، مثل هذا لا يُكتسب بالرأي ولا يكون إلّا سماويا!"** (الجاحظ، د.ت.: 31-32).

هكذا تضطر ظروف المعيشة هذا الرجل ضعيف الحال إلى أن يداوي سعاله بماء النخالة بديلا عن مداواة نفسه بما ارتفع ثمنه من مطبِّبات غذائية (مثل: الفانيذ السكري والخزيرة والنشاشتج والسكر ودهن اللوز). ثم هو بعد أن يأخذ بنصيحة التداوي بماء النخالة، يتبين له بالتجربة أن النخالة ليست مفيدة فقط في تطبيب السعال بل هي أيضا سادة لحدة الجوع وإلحاح الطعام؛ فهي موفرة أيضا وليست معالجة فقط. بل هو يذهب في الاستفادة بها إلى اقتراح أن تجفف زوجته النخالة بعد أن تأخذ عصارتها في الاستشفاء والإطعام له ولعياله لتعيدها صورتها الأولى، بعد جفافها، لتبيعها في السوق فيستفيدون من ثمنها. فيكون من فعله ما يبهر المستمعون من المسجديين الذين يذهب بهم الظن إلى أن أمر هذه المشورة في أوجه الإنفاق والكسب لم تكن عن تجربة شخصية للرجل فقط، بل هم يعظِّمون منها حتى يعدُّونها مما لا يكتسب بالتجريب فقط بل بالإلهام السماويِّ، فهو "موحًى له" بإتيان هذا الفعل وليس من تدبير نفسه. وهكذا تتسامى استراتيجيات الاستدامة وتدابير الاقتصاد في الذهنية العربية القديمة حتى تكون من وحي إلهي لما تستشعره من أهمية الحفاظ على موارد الطبيعة والاستثمار الأمثل لها. لكن يختلط أمر الاقتصاد عند صاحب النخالة مع الأخلاقيات الإنسانية: فتتداخل الرغبة في التداوي مع كسب الرزق، وتكون سببا في أن يحكم الجاحظ على صاحب حيلة بيع النخالة بعد أخذ عصارتها، بالبخل ومساوئ الأخلاق، ولا يعدها في النافع من استدامة مؤونة المعاش، لأنه من التدابير الاقتصادية المجانبة للنزاهة والقائمة على غش الآخرين الذين سيشترون نخالة منزوعة الفائدة.

وفي استكمال أخبار المقتصدين من المسجدين، يمتعنا الجاحظ بحكاية الرجل الذي هداه تفكيره لتوفير مصادر إشعال النار بعد معاناة، فيقول:

> **"ثم أقبل عليهم شيخ فقال: كنا نلقي من الحرَّاق** [ما يشتعل فيه نار القداحة إثر احتكاكها بالحجر، وهو من أنواع القماش] **والقداحة** [ما يحتك بالحجر لقدح النار] **جهداً؛ لأن الحجارة كانت إذا انكسرت حروفها واستدارت كلَّت ولم تقدح قدح خير، وأصلدت** [خملت] **فلم تورِ** [تخرج النار]، **وربما أعجلنا المطر والوكف. وقد كان الحجر أيضاً يأخذ من حروف القداحة حتى يدعها كالقوس، فكنت أشتري المرقشيتا** [ما يشبه الحجر الذي يقدح عليه النار] **بالغلاء والقداحة الغليظة بالثمن الموجع. وكان علينا أيضاً في صنعة الحراق وفي معالجة العطبة** [قطعة من القطن] **مؤنةٌ، وله ريح كريهة. والحرَّاق لا يجيء من الخِرَق المصبوغة ولا من الخرق الوسخة ولا من الكتان ولا من الخلقان** [الثياب الممزقة، خِرقا]، **فكنا نشتريه بأغلى الثمن. فتذاكرنا منذ أيام أهل البدو والأعراب وقدحهم النار بالمرخ** [نوع من الشجر سريع الاشتغال] **والعِفَار** [شجر يتخذ منه الزند، أي ما تقدح به النار]. **فزعم لنا صديقنا الثوري وهو - ما علمت - أحد المرشدين، أن عراجين الأعذاق** [عناقيد شجر النخل] **تنوب عن ذلك أجمع، وعلمني كيف تعالج. ونحن نؤتي بها من أرضنا بلا كلفة، فالخادم اليوم لا تقدح ولا توري إلا بالعرجون. قال القوم: قد مرت بنا اليوم فوائد كثيرة، ولهذا قال الأُوَل: مذاكرة الرجال تلقح الألباب."** (الجاحظ، د.ت.: 32).

هكذا تكون الكلفة في جلب مواد إشعال الطاقة من أنواع أقمشة ذات سمات معينة للحراق، وارتفاع كلفتها من حجارة المرقشينا، ومصادفة ظروف من مطر وغيره تذهب جهدهم وعناءهم سدى بإطفائها، سببا في استغنائهم عن بعض من مصادر حصولهم على طاقة حرارية من مواد عالية التكلفة واسبدالها بأخرى رخيصة: هي أعذاق النجيل التي استنبطوها من حياة الأعراب وأساليبهم البسيطة في إشعال النيران.

وفي خاتمة أخبار أولئك المسجديين، يأتي ذكر خبر معاذة العنبرية التي تفوقت على جميع من تقدمت أخبارهم في الاقتصاد بما كان من حذقها ومهارتها في الاستفادة من جميع أجزاء أضحية أهديت إليها من الفقراء الأرامل، ما جعل

الرجال يرونها الأنموذج الأفضل في حسن التدبير، وحكايتها يستكمل بها الجاحظ روايته عن حكايات المسجديين كالتالي:

"ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم أرَ في وضع الأمورِ مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها، كمعاذة العنبرية! قالوا: وما شأن معاذة هذه؟ قال: أهدى إليها العام [المنصرم] **ابن عمّ لها أُضحية، فرأيتها كئيبةً، حزينةً، مفكّرةً، مطرقة، فقلت لها: مالك يا معّاذة؟ قالت: أنا امرأة أرملة، وليس لي قيّم** [مسؤول مدبِّر لشؤونها]**، ولا عهدَ لي بتدبير لحم الأضاحي، وقد ذهب الذين كانوا يدبّرونه ويقومون بحقّه، وقد خفتُ أنْ يضيع بعض هذه الشاة، ولستُ أعرفُ وضع جميع أجزائها في أماكنها، وقد علمتُ أنَّ الله لم يخلق فيها، ولا في غيرها، شيئا لا منفعةَ فيه، ولكن المرء يعجز لا محالة، ولستُ أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجرَّ تضييعُ الكثير! أما القرن فالوجه فيه معروف؛ وهو أن يُجعل منه كالخَطاف** [حديدة ملوية] **ويُسمَّر في جذع** [ساق النخلة والشجرة] **من أجذاع السقف** [على الأجذاع كان يُبنى سقف البيت]**، فيُعلق عليه: الزَّبل** [جمع زبيل، وهو القُفَّة] **والكيران** [جمع كير، وهو زقٌّ من جِلْدٌ عَلَى شَكْلِ مِنْفَاخٍ يَسْتَخْدِمُهُ الْحَدَّادُ لِلنَّفْخِ فِي النَّارِ لإِشْعَالِهَا أَوْ إِبْقَائِهَا مُشْتَعِلَةً لِتَحْمِيرِ الْحَدِيدِ]**، وكلُّ ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير** [جمع سنَّور: القطط]**وبنات وردان** [الصراصير] **والحيّات، وغير ذلك. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة** [خَشَبَةٌ يُطرق بها القطنُ ليرِقّ ويزول تلبُّده]**، وبنا الى ذلك أعظم الحاجة. وأما قَحَف الرأس** [عظام الجمجمة] **واللحيان** [عظام الخدين] **وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق ثم يطبخ، فما ارتفع من الدَّسم كان للمصباح والإدام** [ما يُغمس فيه الخبز فيُطيبه] **وللعصيدة** [دقيق يمزج بالسمن ويُطبخ] **ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقدُ بها، فلم يرَ الناس وقودا قطُّ أصفى ولا أحسن لهبا منه، وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر، لقلة ما يخالطها من الدخان. وأما الإهاب** [الجلد المسلوخ عن الأضحية] **فالجلد نفسه جراب** [قُفه تُصنع من ذلك الجلد]**. وللصوف وجوه لا تعد. وأما الفَرث** (الزَّبل وهو مخلفات البهيمة التي مازالت في كرشها] **والبَعر** [الخارج من مخلفات البهيمة] **فحطبٌ إذا جفّف عجيب. ثم قالت: "بقي الآن علينا الانتفاعُ بالدم. وقد علمتُ أن الله، عزَّ وجلَّ، لم يحرِّم من الدَّم المسفوح إلا أكله وشربه، و أنَّ له مواضعَ يجوز فيها،**

ولا يُمنع منها؛ وإنْ أنا لمِ أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به صار كيًّةً [حرقة ولوعة] **في قلبي، و قذًى** [وسخ] **في عيني، وهمّاً لا يزال يعودني! قال: "فلم ألبث أن رأيتُها قد طلقت و تبسّمت. فقلتُ: "ينبغي أن يكون قد انفتح لكِ بابُ الرأي في الدَّم!" قالت: "أجل، ذكرتُ أن عندي قدورا شامية جُددا، وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغَ** [أشد صباغا]**، ولا أزيد في قوتها، من التلطيخ بالدَّم الحار الدَّسم، و قد استرحتُ الآن؛ إذ وقع كل شيء موقعه. قال: "ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلتُ لها: كيف كان قديد** [اللحم المقطع المجفف] **تلك الشاة؟" قالت: "بأبي أنت! لم يجىء وقت القديد بعد! لنا في الشَّحم والألية والجنوب** [اللحم على جوانب الشاه] **والعظم المعرَّق وفي غير ذلك معاشٌ، و لكل شيء إبَّان** [وقت]**."** (الجاحظ، د.ت.: 33-34).

"فقبض صاحب الحمار والماء العذب قبضةً من حصى، ثم ضرب بها الأرض، ثم قال: "لا تعلمُ أنَّك من المسرفين، حتى تسمعَ بأخبار الصالحين!" (الجاحظ، د.ت.: 34).

كسبت إذن الجولة الأخيرة في حكايات المسجديين طريقة المرأة معاذة لعنبرية، بدليل شهادة صاحب الحمار الذي قبض الحصى وضرب به الأرض، من شدة انبهاره مما سمعه من أخبار المسجديين أصحاب الاقتصاد وطرق توفيرهم وبما كانت خاتمته قصة العنبرية. فمعاذة العنبرية المرأة التي ترملت، وواجهت صعوبات الحياة بعد وفاة عائلها، بعد أن كانت على ما يبدو مرفهة في بيت أهلها، إذ تقول: "لا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي،" نجدها بعد ترملها تعمل جهدها وتحفز ذكاءها للاستفادة من كل قطعة من الأضحية التي تحصل منها على ما يطعمها وأولادها اللحم لسنة كاملة: فقرونها خطاطيف لتعليق أكياس الخوص (الزَّبل/ قفة)؛ والجلد (الكيران) فتمنع الحشرات من صراصير ونمل وغيرها من الحيوانات (فئران وحيات) من الوصول لبقايا الطعام وغيرها مما تريد تعليقه بعيدا عنها؛ والمصران تصنع منها أوتار المندفة؛ التي تحتاجها بشدة في طرق القطن وإزالة تلبُّده؛ وجمجمة الرأس وعظام الخدين وسائر الجسد ستصنع منها شوربة تصنع من دسما وزيتا ستطبخ به عصيدتها وإدامها وغيرها من طعام؛ ثم هي لن تترك العظام تذهب سدى بعد الاستفادة من شوربتها ودسمها، بل ستجعلها مصدرا لإنارة مصابيح بيتها؛ وستصنع من جلدها قفة تعلقها على الخطاطيف التي صنعتها ابتداءً من قرونها، وصوفها سيكمل ما نقص من أثاث بيتها؛ والدَّم فقد فتح الله عليها أخيرا بما استذكرته من نصيحة قديمة عن كفاءته في دباغة القدور الجديدة وجليها عند استخدامها لأول مرة.

هكذا قصصنا من التراث في مادتها الأصيلة ذات صلة أكيدة بموضوع الحفاظ على الثروات البيئية: فالرجل الذي صهرج حوضا لحجز الماء العذب من الهدر والاستفادة منه في الشرب والاغتسال للإنسان ثم تسريب بقاياها للحيوان وتجنيبه الماء الأجاج الذي أوشك به على الهلاك؛ ومريم الصَّناع التي أهداها تفكيرها للاقتصاد في نفقة الدقيق واختزانه ثم بيعه وجمع غلته لتجهيز ابنتها منذ لحظة ولادتها؛ والرجل الذي شكى من السعال وهدته المشورة للاستفادة من ماء النخالة في الاستشفاء والأكل والتخزين والبيع؛ وذلك الذي أبدل مادة وقودة من القدَّاحة والحرَّاقة كما هو عمل أهل الحضر بعمل أهل البادية من المرخ والعفار؛ وأخيرا معاذة العنبرية التي استفادت من كل عضو وجزء من أجزاء أضحية واحدة، ظلت موردا لطعامها هي وعيالها أشهرا عديدة (من لحم مقدَّد وشوربة عظام وسمن) وسببا أيضا في تنظيم أمور حياتها (من خطَّافات للتعليق من قرونها، وأوتار مندفة من مصارينها، والحطب من فرثها وبعرها، وجرابات من جلدها، وقطع الأثاث من صوفها، وإضاءة بيتها من شحمها، وجلي قدورها الجديدة من دمائها)، كل تلك النماذج هي صورة موضحة لطرق الأولين في المحافظة على موارد بيئتهم، وإن كان الدافع في تفعيلها هو الفقر والحاجة وليس الحرص على توازن بيئي في الأساس، لكنها تبقى مبيِّنة لنماذج من تفاعل "فطري" بين الإنسان وبيئته، أساسه المحافظة على مواردها، وإن اختلفت الدوافع والنوازع لذلك، من خلال نماذج من قصص أدبية معاصرة لبيئتهم القديمة، هدفها الأساسي التوعية بالبيئة وأهمية الاقتصاد في الاستفادة من مواردها، علما أنها لا يمكن أن تحتسب باعتبارها نتاجا فنيا موجها خصصيصا للصغار، وهذا هو الاختلاف الجوهري بين نماذج قصصنا التراثي عن التعامل مع موارد البيئة وبين نماذج القصص الغربي المتخصص في الأدب البيئي.

الغرب والتأسيس لأدب صغار بيئي

يمكن اعتبار أن التوعية "الرسمية" بالبيئة على المستوى العالمي بدأت بالاحتفالية الأولى بـ"يوم الأرض" الذي وافق 22 نيسان/ أبريل من العام 1970م(Khan، 2010 :1)؛ حيث إنها أيقظت وعي العالم بأكمله للخطر المحدق بالأرض نتيجة الإنهاك الاستهلاكي لخيراتها. وعلى إثر ذلك، بدأت مناهج الغرب التعليمية المدرسية التحذير من خطورة هذا الأمر بشكل مكثَّف، واستجابت أيضا بعض نتاجات قصصية لخطورة الأمر حيث نجد أن حكاية لوراكس (المنتجة في العام 1971م) تؤرخ لمحنة البيئة مع الشخصية الفخارية "لوراكس" الذي يتحدث باسم الأشجار، ويواجه رجل صناعة جشع طماع، يتسبب في تدمير البيئة.

وفيما يخص التأريخ الرسمي لنتاجات أدب طفل في التخصص البيئي في الغرب، فقد وثَّقت الباحثة أدلين بوتيرا (Adeline Johns-Putra) بعضا من شواهد لتشجيع منتجين فنيين غربيين في العامين 2009-2011 لكتابات مسرحية ذات علاقة بالبيئة وتغييراتها، أصبحت تصنف فيما بعد على أنها (مسرحيات التغير المناخي-climate change plays). وقد شجعوا أيضا نظم مقطوعات شعرية عرفت لاحقا بمصطلح (أشعار البيئة- ecopoetry). وقد ترتب على ظهور هذه الأنواع الأدبية المستجدة ظهور النقد البيئي/ ecocriticism ونقد التغيرات المناخية/ climate change criticism. وفي ذلك تقول بوترا، في بحثها المنشور عام 2016: "في الأعوام الخمسة الأخيرة، التغير البيئي برز كثيمة سائدة في الأدب، وبالتبعية في الدراسات الأدبية. شهرته في النتاجات الأدبية الخيالية روَّج لمصطلح (cli-fi) أو (خيال-بيئي) [وهو مختصر لخيال التغير المناخي] ونشر التكهنات أنه يؤسس لنوع أدبي خاص" (Putra، 2016: 266).

شخصية لوراكس الشهيرة المهتمة بالأشجار والحفاظ عليها من أطماع الصناعة

أما الانتشار المكثَّف لهذه النوعية من الكتب، قبل التصنيف لها باعتبارها من جنس الأدب البيئي، فيمكن تأريخه من تسعينات القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة، وذلك مع زيادة الوعي المدرسي بأهمية تثقيف الناشئة بالحفاظ على الطبيعة في سمتها البكرية. وعليه، فإن أدب الطفل ربما اعتبر سبَّاقا عند الغرب عنه عند العرب مع تلك الاستجابة الملحوظة التي أشارت الباحثة بوترا إلأيها من خلال دعوات منتجي الأعمال الفنية في الغرب للمؤلفين إلى إنتاج مؤلفات من أجناس أدبية متعددة تدور في فلك التغير المناخي وآثاره على البيئة، باسلوب يتناسب وتفتيح مدارك الصغار ووعيهم لخطورة القضية البيئية.

وفي آدابهم، تم تصنيف لكامل الأجناس الأدبية المندرجة تحت تصنيف أدب الطفل (مثل: آداب المهد، أدب المغامرات، أدب الخيال العلمي، الفانتازيا، الواقعي...إلخ)، (للاطلاع على جميع الأنواع في تصنيفها الحديث انظر الموقع الإلكتروني: Children's Literature introduction، 2023: 8). وفي سياق محاولات القائمين على هذا الحقل العلمي إضافة فرعه الجديد "أدب صغار بيئي" لتلك القائمة نجد أن دراسة حديثة منتجة في العام 2016، وتضم مجموعة من الباحثين (Boggs, G.; Wilson, N.; Ackland, R. & Danna, S.، 2016: 665-675) توجه اهتمامها لوضع أسس لأنواعه وطبيعته، وتركِّز على مضامينه التالية التي تؤهله ليكون فرعا من فروع أدب الطفل، ونلخصها فيما يلي:

1- كيفية الطرح: فحسب تصنيف **جنسه الأدبي**، ينبغي أن يراعى فيه انتماؤه في إحدى الخانات التالية: كتاب قصصي، نص معلوماتي سردي، نص معلوماتي غير سردي، أو كتاب ثنائي الهدف: معلوماتي قصصي.

2- أهدافه: حيث ينبغي أن تكون واضحة ومتفقة مع الكيفية التي قُنِّن بها الوصول لذلك الهدف، وذلك استنادا لتصنيف جنسه الأدبي المختار أولا والمشار إليه أعلاه.

3- عناصره الفنية: يتم تحديدها من خلال التزام التأليف في ضوء العناصر الفنية التي تميز نوعية الجنس الأدبي المختار (*القصصي أو المعلوماتي السردي أو ثنائي الهدف*). فإن كان التأليف في جنس **السردي القصصي** فينبغي أن يراعي التالي من أمور:
   1- تطور **أحداث** القصة بشكل مقنع، يتلاءم مع تموضعها **الزماني والمكاني** بشكل منطقي، وانطلاقا من هذين العنصرين يكون الحكم على عناصر القصة فيما يخص طبيعة كل منها.
   2- الحكم على جودة أحداث الحكاية بشكل عام، وإحكام **حبكتها** بشكل خاص، من خلال الوقوف على الكيفية التي تم بها تصاعد العقدة، وما إذا كان ذلك التصاعد بشكل طبيعي وجاذب أم ممل وغير منطقي.
   3- توظيف **عناصر جمالية** من مثل التجسيد والخيال والسجع، ومراعاة لغة مناسبة للمتلقين الصغار-بحسب أعمارهم المختلفة.
   4- وضع تساؤلات تعيين على الوصول بالعمل **لغاياته** المرجوة من الجودة، مثل، بالنسبة للشخوص على سبيل المثال: هل تبدو حقيقية؟ هل يفهم المتلقي الشخصيات المرسومة لكلٍ منها ودوافع تصرفاتها؟ هل يظهر لكل منهم نقاط ضعف وقوة؟ هل تظهر تصرفاتهم أن منشأها التعددية الثقافية؟ هل

الشخوص مرسومة بحيث تظهر تصرفاتهم دوافع فردية أم باعتبارهم ممثلين لمجموعاتهم التي ينتمون إليها؟ وفيما يخص التموضع السردي: هل هناك تآلف بين رسم الشخوص وزمكانية التأليف؟ هل المتلقي يشعر كما لو أنه يعايش ذلك الزمان والمكان؟

أما فيما يخص نوعية التأليف في ***جنس المعلوماتي غير السردي***، فالأسئلة التي ينبغي طرحها تكون من مثل: هل المصطلحات التقنية تم شرحها وتوضيحها؟ هل المعلومة واضحة وموافقة للتطور العلمي وزمانه؟ هل الحقيقة العلمية مطروحة بشكل واضح وليست مبسطة بشكل تسطيحي؟

وفيما يخص **الرسومات** في تلك الكتب، فينبغي أن تنجز في فلك سؤال مركزي عن استيفاء شروطها، وهو: هل هناك وحدة بين الأفكار المراد طرحها في النصوص والرسومات على الغلاف ومع داخله؟ هل الرسوم لها دور في تعزيز الفهم أو توسع المدارك أو التزيين للمعلومة المطروحة نصا؟ هل أسلوب الطرح الفني (للرسومات) مناسب لأسلوب الطرح الأدبي لنص المؤلف؟ هل الرسومات صحيحة فيما يخص التفاصيل التاريخية والجغرافية والثقافية للمعلومة المطروحة؟ هل المعلومة موثوقة وليست من نوعية النمطية (stereotypical)؟ في حال كان هناك كتابة توضيحية مرفقة مع الرسوم (caption)، هل تساهم في زيادة تركيز القارئ على الموضوع وتوسع مداركه لتفاصيله؟ (Boggs & *el al.*، 2016: 668) .

هكذا هي دراسات الغرب الحديثة فيما يخص توجيهاتهم للكيفية التي ينبغي أن تكتب في ضوئها هذه النوعية من مؤلفاتهم الخاصة بجمهور القراء الصغار والهادفة لتوعيتهم بموضوعات تمس قضايا التغير المناخي. فالمسألة عندهم مقنَّنة ومدروسة، وتُكتب فيها أبحاث ودراسات عديدة وتمنوعة وذات منهجيات نظرية وتطبيقية، وهي أيضا محكَّمة من قبل متخصصين في مجال الدراسات النقدية البيئية وأيضا الدراسات التربوية ودراسات أدب الطفل.

التأليف عند الغرب لنتاجات الأطفال ليس عملا فرديا يعتمد على موهبة كتابية خلَّاقة لمبدعه فقط، بل هو "**صناعة**" بمعنى الكلمة، تُعني بمواصفات المنتج، والكيفية التي ينبغي طرحها من خلاله: قبل لحظة إنتاجه من خلال دراسات توجيهية مثل تلك المشار إليها أعلاه؛ وتُعنى به أيضا عند لحظة تنفيذه من قبل مؤسسات نشر متخصصة في كتب الاطفال، ويشرف عليها متخصصين في نوعية هذه الكتب ممن يحرصون على توقيت نشرها بحيث يوافق مناسبات عالمية تحتفي بيوم الأرض (Earth Day-22 April) أو يوم الشجرة (Arbor

Day-28 April) أو غيرها من المناسبات البيئية. ومثال على ذلك، حكاية *لوراكس* / *The Lorax*، لمؤلفه Dr. Seuss، المنتج عام 1970، الذي تم إنتاجه بعد أول احتفاء بيوم الأرض في دار النشر المتخصصة لكتب الأطفال *Random House Books for Young Readers*. كما يمتد الاعتناء به إلى ما بعد مرحلة إنتاجه ونشره وذلك من خلال عمليات تقويم وتقييم مستمرة للكتب المنشورة وما حالفها من حظوظ نجاح أو إخفاقات على السواء.

وجود الأدب البيئي بالضرورة ينبئ عن ظهور نقد جديد في عالم الدراسات النقدية وهو النقد البيئي (ecocriticism)، باعتبار النقد غالبا تابع للأدب. ويعرِّف الباحث سانديب ميشرا (Sandip Mishra) هذا الفرع من المعارف الجديدة، بقوله: "النقد الإيكولوجي هو نسبيا نظرية جديدة لتحليل أي نص أدبي حيث الكاتب، عن علم أو عن غير علم، يجعل القرَّاء يفهمون قيمة البيئة من خلال شواهد في الأدب [...] فهو أداة مفاهيمية لتحليل الأدب من وجهة نظر البيئي (الشخص المتخصص في الدراسات البيئية" (Mishra، 2016: 91). وفي تعريف آخر: "هو دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية. فمثلما يدرس النقد النسوي اللغة والأدب من منظور واع بالنوع الذكوري والأنثوي من منظور اجتماعي (جندري)، ومثلما يعاين النقد الماركسي قراءاته للنصوص من منظور الأنماط الإنتاجية والطبقة الاقتصادية، كذلك يتخذ النقد الإيكولوجي من البيئة والمحيط والأرض منظورا يقيم من خلاله الدراسات الأدبية. Glotfelty, Ch. (& Fromm, H.)، 1996: (intro.) 18) .

الاهتمام بتوعية جيل النائشة بقضية التغير المناخي لم تقتصر على التحديث في فروع أدب الطفل بل تعدته ليكون جزءا من المنظومة التعليمية ككل في بلاد الغرب، فكما نشأت فروع جديدة في أدب الطفل (مثل الأدب المناخي والأدب البيئي ونتج عنهما بالتبعية نقد بيئي) تمَّ ربط موضوع البيئة بعموميته بعلم أصول التدريس لجميع المعارف ككل، فظهرت البيداغوغيا البيئية أو علم أصول التدريس البيئي (ecopedagogy). وهو علم يؤكد على ضرورة مزج النظري مع التطبيق العملي فيما يخص الدراسات البيئية، فهي لا يكتفي في حالات التعليم البيئي بتوجيه المتعلمين لأهميته من خال التفكير الناقد فحسب، بل يشركهم أيضًا في التَّعلم من خلال العمل الفاعل ذي الأثر الملموس على أرض الواقع (المرجع السابق). وفي دراسة بحثية تذكر توجهات التعليم البيئي للصغار عند الغرب، نجدها تلخصها في الأساسيات التالي: 1- يلزم كل من الناس والحياة البرية الاحتياجات الأساسية نفسها؛ 2-العناصر الحية وغير الحية في الطبيعة هي كائنات ذات اعتماد متبادل على بعضهم البعض في معيشتهم؛ 3-الناس تؤثر في

البيئة والبيئة تؤثر في الناس؛ والناس بالخصوص مسؤولة عما تحدثه من آثار في البيئة (Stoner. D.& O'Brien, k.، 1987: 14).

بالمقارنة مع هذا التنوع الإنتاجي في أدب الطفل البيئي وتشعباته عند الغرب، وباستعراض ما وصل إليه أدب الطفل البيئي على مستوى تخصص نتاجاته الأدبية والنقدية والتعليمية (الإيكولوجي)، فإننا نجد أنفسنا أمام مفترق طرق واضحة بين نظرة عالمنا العربي للطفل والنتاجات المعرفية لتوعيته بالبئية وبين ما وصل إليه الغرب في هذا المجال تحديدا. حيث إننا مازلنا نخطو الهوينا فيما يخص النتاج البيئي لأدب الطفل بنتاجات قليلة كما ومتنوعة في الطرح ما بين الرصينة والمبنتدئة كيفا. أما الممارسة لنقد بيئي على تلك النتاجات فهي ربما تكون معدومة. يؤكد ذلك محمد أبو الفضل بدران في الورقة العلمية التي شارك بها في *المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية*، وهو مؤتمر مصنف على أنه "مؤتمر علمي محكَّم،" وانعقد في بيروت في الفترة (18-20 رجب، 1436هـ/ 7-9 مايو، 2015م)، وفيها يذكر بدران: "لسنا نجد مصطلح النقد الأدبي البيئي في تراثنا النقدي صراحا، فهو جديد من حيث المصطلح؛ لكنه مطبق لدى عدد من نقادنا تطبيقا تشوبه عمومية الرؤى أحيانا، ويختلط مع مناهج نقدية أخرى في أحايين كثيرة" (بدران، 2015: 193). هذا التأكيد على وجود في مرحلة إرهاصية لنقد أدبي بيئي يختص بالدراسات النقدية لأدب الكبار دلالاته الضمنية هو انعدام وجوده على صعيد الدراسات النقدية لأدب الصغار بالضرورة، حيث توظيف النقد بشكل عام مازال في مراحل بدائية فيما يخص دراسات أدب الطفل.

بالإضافة إلى ما سبق من اهتمامات بالنتاجات الأدبية والنقدية والعلمية البيئية الموجهة لجمهور الصغار في عالم الغرب، فقد تخصصت مواقع إلكترونية ذات مرجعيات بحثية أو أكاديمية مرموقة أو متخصصة في مجال الدفاع عن البيئة، تستعرض المنتج السنوي من كتب أدب الطفل البيئي (Eco-Lit.) وأدب التغير المناخي (Cli.Ch-Lit.) بشكل يشبه المراجعة الأدبية لمضمونها، وتوصي القائمين على رعاية النشء بتوفيرها لهم، حسب المناسب لأعمارهم، لتوعيتهم بما تحتويه المؤلفات، المصنفة خيالية أو غير خيالية، من مضامين ذات صلة برفع الوعي البيئي والتغير المناخي. من أمثلة تلك المواقع التالية: Earth.Org; Library Hub; Goodreads; Green Biz.

وفيما يخص نماذج طرح هذه المواقع الإلكترونية المختصة بمراجعات نتاجات أدب الأطفال البيئي والتغير المناخي للنتاجات غير الخيالية للأطفال الصغار، فمثالها ما روَّج به موقع Green Biz لقصة *لا تدعهم يختفون (2019)*،

للمؤلفة تشيلسي كلينتون، الابنة الوحيدة لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية بيل كلنتون (ح. 1993-2001)، وعنه يقول:

> هذا الكتاب، الأكثر مبيعًا للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 4 و8 سنوات، يركز على 12 نوعًا مهددًا بالانقراض من الحيتان الزرقاء إلى إنسان الغاب، ويعرض الخطوات التي يمكن أن يتخذها البشر لإنقاذهم من الانقراض، مثل معالجة فقدان الموائل (أماكن تواجد الطبيعية). فهل تعلم[-عزيزي القارئ الصغير–] أن ثعالب البحر مدرجة في القائمة؟ (موقع Greenbiz).

أيضا من أمثلة المراجعات التي تعرضها تلك المواقع للنتاجات غير الخيالية للفئة العمرية الأكبر، فملخص موقع Earth.Org لكتاب *ما هو تغير المناخ؟* (2018) للمؤلف جيل هيرمان، فيذكر التالي:

> ما هو تغير المناخ؟ هو كتاب غني بالمعلومات وسهل الفهم، من تأليف جيل هيرمان. ينظر المؤلف إلى هذا الموضوع ليس فقط على أنه قضية بيئية، لكن من منظور اجتماعي وسياسي أيضا؛ حيث يشرح هيرمان ماهية تغير المناخ، مظهرا أهمية تأثير كلا من الجانبين الاجتماعي والسياسي في النقاش، وسواء كان ذلك ناتجًا عن البشر أو مجرد عملية طبيعية لكوكب الأرض، بشكل يمكِّن القراء الشباب من تكوين فكرة شاملة عن هذه القضية، والتَّعرف على الأدوار المختلفة التي يلعبها كلا من البشر والبيئة في أزمة المناخ، وكيف يمكن أن يبدو المستقبل، إذا كنا جميعًا أكثر وعياً بأفعالنا. (موقع Earth.Org).

معالجات نتاجات أدب الطفل في الغرب تجعل بؤرة اهتمامها أن تبرز دورا فاعلا للصغار في معاجة الأضرار البيئية التي هي غالبا نتاج الغرور والطمع الإنساني. انظر مثلا لما يخصصه موقع إلكتروني يستعرض فيه مجموعة من كتب الأطفال بشكل دوري ويخصص إحدى تلك الدوريات للإشارة للنتاجات التي تحاور "الأنا الفاعلة" في ذات الطفل تجاه قضايا مناخية عويصة، ويعنون لصفحتهم بالتالي: "كتب الأطفال عن التغير المناخي: كيف يمكن للمرء أن يتحدث إلى الأطفال عن تغير المناخ، بطريقة تمكنهم من التصرف (الفاعل) بدلاً من شلِّهم بالخوف." (SVOBODA، 2018).

الخاتمة

الدراسة سلطت الضوء على **أهمية** تنبيه جيل المستقبل بقضايا التغير المناخي (بطرقها المباشرة وغير المباشرة)؛ باعتبارهم الفئة المحدقة بهم لا محالة مخاطر المستقبل المتسبب فيها تعامل جيل اليوم غير اللائق مع الأرض (ذات الصلة بالاستغلال الهادر لموارد الطبيعية التي أصبحت جزءا من هوية العصر الحضارية الصناعية والتكنولوجية). **هدف** الدراسة هو التوعية بالأثر السلبي لإغفال تنبيه الصغار بما ستكون عليه بيئتهم المستقبلية والكيفية التي ينبغي بها إنقاذ كوكبنا من مخاطر بيئية باتت وشيكة الحدوث. **منهجية** الدراسة استندت إلى آلية فاحصة لنتاجات موجهة للصغار ذات صلة برفع وعيهم البيئي، وهي آلية ذات محورين: المحور الأول هو فحص الأصول الأولى والأولية التي حملت بذور هذا الوعي في المعرفة العرفية بشقها الديني والتاريخي والأدبي، وقد خلُصت إلى نتيجتين: أولهما أن أدبنا العربي ينطوي على معرفة أصيلة بموضوع الوعي البيئي، لكنها لم تكن موجهة خصوصا لمجتمع الصغار ابتداءً، ذلك أنَّ مفهوم الطفولة في زمن القدماء يختلف عن مفهوم الطفولة في زمننا الحاضر، فالأطفال كانوا يستقون معارفهم مباشرة من معارف الكبار وتشاركوا سوية التثقيف وزيادة الوعي فلكثير من القضايا الحياتية من منبع معرفي واحد ومشترك. ثانيهما: أن ذلك الوعي ارتبط في النصوص الدينية والتاريخية (النبوية وسير الصحابة والتابعين) بتأسيس لفهم علاقة الإنسان بالكون الذي يعيش في جنباته، وارتباطهما معا بمصير واحد، لكنه على المستوى السردي القصصي والواقعي لم ينشأ بدافع من ذلك الوعي بل نشأ لأسباب متعددة: منها، أخلاقية (كما في قصص كليلة ودمنة لابن المقفع) أو اجتماعية واقتصادية (كما في قصص البخلاء للجاحظ). وفيما يخص المحور الثاني لآلية البحث، فقد ركزت القراءة في نتاجات أدب الطفل عند الغرب، ووضَّحت أهم الأسس التي ارتكزت عليها: من وعي جمعي ابتداءً (تأسَّس بيوم الأرض)، ثم وعي أدبي خاص بنتاجات توعية الطفل بالبيئة (إنتاجا وتأليفا ونقدا)، ثم وعي مدرسي رسمي ضمَّن مناهجهم التعليمية مقرراتٍ تدرس هذا الفرع من العلوم في مادته الطبيعية العلمية والتربوية أيضا. انتهى البحث إلى أن النتاجات الغربية لأدب الطفل البيئي متقدمة بمراحل عديدة عنها في البلدان العربية، وأهم أسباب ذلك التقدم يرجع إلى أنَّ مشكلة البيئة عندهم منظورة بوعي جمعي تكاتفت فيه حكومات ومؤسسات وأفراد بشتى توجهاتهم التي اتفقت على أهمية توعية جيل المستقبل بالمخاطر المحدقة بهم، لأنها مخاطر مدروسة علميا والوعي بها بالغ مداه عندهم، وهي واقعة لا محالة في حساباتهم، وهذا الوعي بأسس هذه القضية هو ما جعل نتاجات الغرب في هذا المجال غزيرة ومكثفة ومركزة على القضية، بشكل يمكن تصويره بأنه "صرخة" لإيقاظ وعي الإنسانية (كبارا وصغارا)

بقضايا التغير المناخي، وليس مجرد "تنبيه" كما هو حال الدوافع لنتاجات الأدبي البيئي في مجتمعاتنا العربية.

المصادر والمراجع - العربية:

ابن شبَّة، ع. (١٣٩٩هـ). *تاريخ المدينة لابن شبة*. حققه: فهيم محمد شلتوت. جزءان، جدة: طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد. نسخة إلكترونية: https://s2.ketabonline.com/uploads/2020/04/2524469272141897568.pdf

ابن المقفع، ع. (ترجمة) (2014). *كليلة ودمنة*، تحقيق: عبد الوهاب عزَّام وطه حسين، وندسور: مؤسسة هنداوي.

بدران، م. (2015). أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، *المؤتمر الدولي الرابع للغة العربي*. 6- 10 مايو 2015م الموافق 17 - 21 رجب 1436هـ. المجلس الدولي للغة العربي: 193-203.

البلاذري، أ. (1987). *فتوح البلدان*. تحقيق وشرح وفهرسة: عبد الله أنيس الطبَّاع وعمر أنيس الطبَّاع. بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

الجاحظ، ع. (د.ت.). البخلاء، تحقيق: طه الحاجري. ط. 5. القاهرة: ار المعارف.

ضيف، ش. (1995). *تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي*. ط. 1. القاهرة: دار المعارف.

الطبري، م. (1967). *تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك*. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط.2. 11 جزء. القاهرة: دار المعارف. نسخة إلكترونية: https://shamela.ws/book/9783/1501#p1

علوي عبد القادر السقَّاف (إشراف عام)، موقع إلكتروني: الدُّرر السُّنيَّة (الموسوعة الحديثية)، https://www.dorar.net/hadith

تخريج الأحاديث النبوية إلكترونيا من الصفحة الإلكترونية لموقع الدَّرر السنية/ الموسوعة الحديثية (إشراف عام: علوي عبد القادر السقَّاف)، بحسب ترتيب ورودها في متن المقال:

1- كُلُوا واشْرَبُوا والبَسُوا وتصدَّقوا...،" التخريج: النسائي (2559)، وابن ماجه (3605): https://www.dorar.net/hadith/sharh/136587
2- "ما ملأ ابنُ آدم وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ...،" أخرجه الترمذي (2380)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (6769)، وابن ماجه (3349)، وأحمد (17186) واللفظ له: https://shorturl.at/oJKU4
3- لا يغرس مسلم غرسا ...،" أخرجه صحيح مسلم: 1552: https://shorturl.at/glnz3
4- "لئن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ...،" (الألباني: 371): https://shorturl.at/bitHZ
5- "مَرَّ رجلٌ بغُصْنِ شجرةٍ على ظَهْرِ طريق ...،" التخريج : أخرجه البخاري (2472)، ومسلم (1914) واللفظ له: https://dorar.net/hadith/sharh/122931
6- "لقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ ...،" صحيح مسلم (1914): https://shorturl.at/AB467

محمد، ق. (1988). *السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. نسخة إلكترونية: https://shorturl.at/hrvCG

المراجع الأجنبية:

Boggs, G.; Wilson, N.; Ackland, R. & Danna, S. (2016-May). Beyond "The Lorax": Examining Children's Books on Climate Change,' *The Reading Teacher*. 69 (6): 665-675. https://www.researchgate.net/publication/301707671_Beyond_The_Lorax_Examining_Children's_Books_on_Climate_Change

(edits.). (1996). *The* Glotfelty, Ch. & Fromm, H. *Ecocriticism Reader: Landmarks, Literary Ecology*. Chicago: University of Georgia Press. https://archive.org/details/ecocriticismread0000unse/page/n3/mode/2up

Khan, R. (2010). *Critical Pedagogy, Ecoliteracy & Planetary Crisis: the EcoPedagogy Movement*. New York, London & *et al*.: Peter Lang. https://www.jstor.org/stable/41502393

Mishra, S., (2016-Sep). Ecocriticism in children's literature, *Galaxy: An International Multidisciplinary Research*, 5 (5): 91-96. (19) Ecocriticism in children's literature.pdf | Dr. Sandip Mishra - Academia.edu

O'Brien, K & Stoner. D. (1987). Increasing Environmental Awareness through Children's Literature, *The Reading Teacher*, 41 (1): 14–19. .http://www.jstor.org/stable/20199688

Climate change in literature and Putra. A. J., (2016-March). literary studies: From cli-fi, climate change theatre and ecopoetry to ecocriticism and climate change criticism. *Wiley interdisciplinary reviews: Climate Change*, 7(2): 266-282. https://wires.onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1002/wcc.385

SVOBODA, M. (2018, Aug. 31). Children's Books about Climate Change: How can one talk to children about climate change in a way that empowers them to act rather than paralyzes them with fear, In *Yale Climate Connections*, from website: Children's books about climate change » Yale Climate Connections

مواقع إلكترونية مهتمة بنشرات دورية لأدب الطفل ونتاجاته الفنية:

Children's Literature introduction. (2023). In Studocu. From: https://www.studocu.com/ph/n/33632856?sid=01691727945

8 Great Climate Change Books for Kids | Earth.Org

What is the Point of Children’s Books About the Climate Crisis? ‹ Literary Hub (lithub.com)
Best Children's Books About Climate Change (20 books) (goodreads.com)
10 children’s books about climate change | Greenbiz